ارتباط السلوك الإنساني بالأحداث الكونية في القرآن الكريم

د. حيدر بن أحمد الصافح *

ملخص البحث

كثيراً ما يشكو الناس من الأوضاع والمصائب ويتسخطون على الأحداث والكوارث التي تنزل بهم من الأمراض والأوبئة ، أو الخوف والجوع ، أو الفتن والحروب وغيرها .. فهل تلك الكوارث والمصائب والأحداث التي تصيب النفوس والأموال ، والزروع والثمار منفصلة عن كسب الإنسان وسعيه لا علاقة بينها وبينه ، أم أن لها ارتباطاً واتصالاً _ ولو في بعض جوانبها _ بهذا الإنسان المخلوق العجيب .

هذا ما حاولت أن أبينه في هذا البحث من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث سيد المرسلين ﷺ ، وقد جعلته في فصلين ، بيَّنتُ في الفصل الأول الارتباط القائم بين الأحداث الكونية والطاعات التي يقوم بها الإنسان نحو ربه وخالقه وما يترتب عليها من خيرٍ وسعادةٍ في الدنيا والآخرة . وفي الفصل الثاني بيَّنتُ آثار الذنوب والمعاصي وارتباطها بما يحدث من فساد كوني ومصائب وعقوبات إلهية لا تقتصر على الذين ظلموا خاصة ولكنها قد تعم بأضرارها الجميع ، ثم خاتمة ضمنتها أهم نتائج البحث ، وبالله التوفيق .

المقدمة :

{الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون} (الأنعام/ الآية : 1) والصلاة والسلام على نبينا محمد البشير النذير والسراج المنير المبعوث رحمة للعالمين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد .. فإننا في هذا العصر ، عصر ثورة المعلومات والاتصالات والتقدم الصناعي والتقني الهائل ، نعيش مع ذلك أزمة فكرية وعقائدية ، وانتكاسات فطرية وأخلاقية ، يعيش البشر في تيهٍ وضلالٍ وقلقٍ واضطرابٍ، حيث تظن الكثرة الساحقة منهم أن هذا الكون بما فيه ومن فيه وجد صدفة وعبثاً واعتباطاً ، وأنه لا علاقة البتة تربط بين أجزائه ، وأنه لا ارتباط بين فعل الإنسان والأحداث الكونية سلباً وإيجاباً ، وليس ثمة رباً خالقاً مدبراً علياً قديراً يخلق ويرزق ويحي ويميت ويدبر

---

*) أستاذ مساعد كلية التربية – صنعاء .

الأمر{ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار}(ص/ الآية:27).

ومما يؤسف له أن المسلمين إلا من رحم الله قد وقعوا تحت تأثير هذا الفكر المنحرف، وذلك حين ابتعدوا عن وحي الله وأصغوا إلى ما يفتريه ويقترفه ويُنَظِّر له أكابر المجرمين من الكفار، من خلال وسائل التأثير والإعلام والتوجيه، وصدق الله القائل :{ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ۞ ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون }(الأنعام / الآيتين : 112 _ 113) فرأيت أن من الضرورة بمكان أن ينبه المسلمون إلى ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من حقائق تفسر وتبين لهم هذا الوجود، حقيقة الكون، وحقيقة الحياة والموت، وحقيقة هذا الإنسان.

إن من الضروري أن يعلم المسلم حقيقته وعمله ووظيفته في الحياة، وأن يعرف علاقته بخالقه وبارئه، وعلاقته بما حوله ومن حوله، وأن تكون لديه نظرة شمولية متكاملة غير مبعثرة ولا مجزأة، منطلقاً في ذلك كله مما أخبر الله به في كتابه الكريم، وما أخبر به رسوله ﷺ في سنته، فإنه إن علم ذلك يتحدد له منهجه، ويتبين طريقه، ويدرك وظيفته، فيعبد ربه ويهتدي بهداه ويسير على صراط مستقيم. أما إذا جهل الإنسان ذلك فإنه يعيش في صراع وتناقض بينه وبين نفسه، وبينه وبين ما حوله، يعيش حياته فترة صدام بين المخلوقات التي أبدعها الله وخلقها ونظمها وبين الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وهذا ما تعاني منه البشرية اليوم، وهي بحاجة ماسة إلى من يأخذ بيدها ويبصرها وينقذها من كبوتها لتكون سوية مستقيمة {أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم}(الملك/ الآية:22).

وقد رأيت أن أُسهم بهذا البحث المتواضع لأبين الترابط التام بين ما يفعله الإنسان من خير أو شر وما يترتب عليه من نتائج وعواقب في هذه الحياة، وذلك على هدي القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ وقد أسميته ارتباط السلوك الإنساني بالأحداث الكونية في القرآن والسنة وهو يتكون من مقدمة وفصلين وخاتمة.

مدخل بين يدي البحث :

هناك علاقة وترابط بين سلوك الإنسان وما يحدث في الكون من خيرٍ وشرٍ، واستقرارٍ وأمنٍ، ورغدٍ في العيش وتقدمٍ وحضارةٍ، وعلوٍ وانتصارٍ، أو ما يحدث من قلقٍ واضطرابٍ، وخوفٍ وجوعٍ، وتخلفٍ وهزائم وانكسارٍ، ويحسن قبل الدخول في الموضوع أن نُعَرِّف العنوان (ارتباط السلوك الإنساني بالأحداث الكونية) فما هو السلوك ؟ وماهي الأحداث ؟ وما هو الكون ؟

السلوك : هو سيرة الانسان ومذهبه واتجاهه ، يقال : فلان حسن السلوك أو سيء السلوك . ومدار الكلمة على سلوك الطريق ، والأمر المستقيم ، وإدخال الشيء في شيء ، ومنه : الخيط يخاط به ، وسلكت الشيء بالشيء : أنفذته .

والسلوك عند علماء النفس هو : الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حي إزاء أي موقفٍ يواجهه "1" .

والسلوك عند أهل التصوف هو : معرفة النفس ما لها وما عليها ، ومجاهدتها في العبادات والطاعات ، والزهد في الدنيا ، والإقبال على الآخرة ، وتهذيبها وتقويمها بالفضائل والأخلاق "2" .

والمراد بالسلوك في هذا البحث هو : ما يصدر من الإنسان من أفعال وتصرفات .

والأحداث جمع حدثٍ ، وحدث الشيء حدوثاً تجدد وجوده فهو حادث وحديث ، ومنه يقال : حدث به عيبٌ ، إذا تجدد وكان معدوماً قبل ذلك ، ويتعدى بالألف ، فيقال أحدثته ، ومنه محدثات الأمور ، وهي التي ابتدعها أهل الأهواء .

وحوادث الدهر نُوَبُهُ ، كحوادثه وأحداثه "3" .

والمراد به هنا : ما يحصل ويحدث من نعمٍ ونقمٍ وكوارث ومصائب يكون الإنسان هو المتسبب فيها .

والمراد بالكون : الوجود المطلق العام ، ويطلق الكون على الأشياء التي أوجدها الله تعالى من المخلوقات عُلويها وسُفليها ومابينهما "4" .

فهل هناك علاقة بين ما يصنعه الإنسان من خيرٍ أوشرٍ في هذه الحياة وبين ما يحصل من أمورٍ وأحداثٍ ، ومصائب وكوارث ، أم أنه لا علاقة ولا ارتباط ؟؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه _ إن شاء الله _ من خلال هذا البحث ، وبالله التوفيق .

الفصل الأول

ارتباط الطاعات بالأحداث الكونية

المبحث الأول : الغاية من إيجاد الخلق هي الطاعة والعبودية لله تعالى :

خلق الله الثقلين الجن والأنس لغاية عظيمة ومهمة خطيرة لم يخلقهم عبثاً ولم يتركهم سدى ، فأفعاله تعالى منزهة عن اللعب والعبث في الخلق والإيجاد والتدبير قال الله سبحانه : { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون } (المؤمنون / الآية : 115) والمعنى أتظنون أنكم مهملين كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها ؟ . "5"

والعبث في اللغة : اللعب ، وقيل هو الفعل لا لغرض صحيح . "6"

وقال سبحانه :{ أيحسب الإنسان أن يترك سدى }(القيامة / الآية : 36) قال الشافعي رحمه الله (الإمام أبوعَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ إدْرِيْسَ الشَّافِعِيُّ ت / 204 هـ) في معناها : أي هملاً لا يؤمر ولا ينهى ؟ وقال غيره : لا يثاب ولا يعاقب . والقولان واحد لأن الثواب والعقاب غاية الأمر والنهي . فهو سبحانه خلقهم للأمر والنهي في الدنيا . والثواب والعقاب في الآخرة .

فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى ، إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه . وأنه لا يليق أن ينسب ذلك إلى أحكم الحاكمين ."7" فالحكمة من الخلق والغاية منها إنما هي عبادة الله تعالى وطاعته وتوحيده وتعظيمه ومعرفته والتقرب إليه بكافة أنواع الطاعات والعبادات التي شرعها فقال سبحانه :{ وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون }(الذاريات / الآية : 56) هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها ، وبعث جميع الرسل يدعون الناس إليها ، وهي العبادة المتضمنة لمعرفته سبحانه ومحبته ، والإنابة إليه والإقبال عليه ، والإعراض عمن سواه ، وذلك يتضمن معرفته تعالى ، فإن تمام العبادة متوقف على المعرفة بالله ، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه ، كانت عبادته أكمل ، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله ، فما خلقهم لحاجة منه إليهم ."8" ولقد سخر الله للإنسان كل ما في هذا الكون وأسبغ عليه النعم لعبادته سبحانه وشكره وذكره على آلائه ونعمه كما قال سبحانه :{ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون }(الروم / الآية : 46) .

وقال جل وعلا في سورة النحل في معرض الامتنان والتذكير بنعمه وآلائه الغامرة الكثيرة :{ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ۞ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لأية لقوم يتفكرون ۞ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۞ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ۞ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون }(النحل / الآيات : 10 _ 14). فعبادة الله وحده لا شريك له هي الغاية المطلوبة من الخلق ، ومن أجلها أرسل الله الرسل لدعوة الناس إليها فكل رسول قد قال لقومه : ((اعبدوا الله مالكم من إله غيره)) [الأعراف / آية : 59] فرسالتهم في هذا الأصل واحدة كما قال الله عنهم : ((ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)) [النحل / آية : 36] ، وقال : ((وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)) [الأنبياء / آية : 25] ، وأخبر سبحانه وتعالى أن عبادته هي العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على آدم عليه السلام وذريته بالعبادة له وأشهدهم على أنفسهم سبحانه بأنه ربهم

المستحق للعبادة وحده دون غيره ، فأقروا وشهدوا كما قال تعالى : ((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)) [الأعراف/ آية:172] ، وقال تعالى : ((ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ۞ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)) [يس / آية : 60] فالعهد هو اجتناب عبادة الشيطان وتحقيق عبودية الله تعالى وحده لا شريك له .

وقد أخبر الرسول ﷺ أن عبادة الله تعالى هي حق الله على عباده كما جاء في حديث معاذ ﷺ قال : بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال : (يا معاذ) قلت : لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال : (يا معاذ) قلت : لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال : (يا معاذ) قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، قال : (هل تدري ما حق الله على عباده ؟) قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً) ، ثم سار ساعة ثم قال : (يا معاذ بن جبل) ، قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، فقال : (هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟) ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (حق العباد على الله أن لا يعذبهم)"" ، وحين يحقق العبد عبودية الله تعالى وحده يكون متآلفاً ومتناغماً مع هذا الكون كله ، الجميع في مسيرة واحدة ، وتوجهٍ واحد ، فالكون كله عابد لله طائع خاضع كما قال سبحانه : ((ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين)) [فصلت / آية : 11] ، وقال : ((سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم)) [الحديد / آية : 1] ، وقال : ((يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم)) [الجمعة / آية : 1] ، وقال : ((ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)) [النور / آية : 41] ، لا يشذ عن هذه العبودية إلا الكافرون الظالمون من عتاة الجن والإنس الذين هم حصب جهنم ، لا يدركون مقدار جريمتهم وفظاعتها إلا في النار حين يعترفون بعد فوات الأوان كما أخبر الله عنهم في كتابه بقوله : ((وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير)) [الملك / آية : 10 _ 11] .

المبحث الثاني : الإيمان والاستقامة على أمر الله والاستمساك بدينه يجلب الخير الوفير والنعم الكثيرة كما قال الله سبحانه : { وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً } (الجن / الآية : 16).

يبين الله تبارك وتعالى ، أن البشر لو استقاموا على شرع الله ودينه ، لوسع الله عليهم الرزق ، وأغدق عليهم الخيرات ، وفتح عليهم أبواب النعمة والرخاء ، فإذا استقام البشر على طريق الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لأسقاهم الله ماء غدقاً : أي كثيراً ، وقد رُوي عن عمر ﷺ أنه قال في هذه الآية : أينما كان الماء كان

المال ، وأينما كان المال كانت الفتنة . ومعنى لأسقيناهم : لوسعنا عليهم في الدنيا ، وضرب الماء الغدق الكثير لذلك مثلاً ، لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون ، فأقيم مقامه كقوله تعالى :{ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض }(الأعراف / الآية : 96) وقوله تعالى :{ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم } (المائدة / الآية : 66) ، ورُوي عن سعيد بن المسيب (أَبُو مُحَمَّدٍ سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ بنِ حَزْنِ القُرَشِي المَخْزُوْمِي المَدَنِي ت / 94 هـ) والحسن وغيرهم أنهم قالوا : كان أصحاب النبي ﷺ سامعين مطيعين ، ففتحت لهم كنوز كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي ، ففتنوا بها فوثبوا على إمامهم فقتلوه . يعني عثمان ﷺ "10" ، وهذا يدل على أن الأمة الإسلامية إذا استقامت على الطريقة القويمة واستمسكت بشرع الله فإن الله يفتح عليها الخيرات والبركات من السماء والأرض ، ومفهوم ذلك أن من لم يستقم على الطريقة فيكون انحرافه موجباً لحرمانه من نعم الله تعالى ، وها هو العالم الإسلامي الذي تنكر لشرع الله وتمرد على الله ، يعاني من المجاعات والأزمات الاقتصادية ، مفتقر لغيره يتسول كافة الأمم الأخرى في استيراد غذائه ولباسه ودوائه وسلاحه وما ذلك إلا عقوبة عاجلة لا ترتفع عنهم حتى يراجعوا دينهم .

وقد يعبر عن الاستقامة بالتقوى ولزومها وما يترتب على ذلك من السعادة العاجلة كما قال تعالى :{.. ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره .. }(الطلاق / الآيتين : 2 _ 3) وقد ذكر أهل التفسير بأن هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ﷺ حين جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه فبم تأمرني ؟ قال : (آمرك وإياها أن تكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله) . فقالت المرأة : نِعْمَ ما أمرك به ، فجعلا يكثران منها ، فغفل العدو عن ابنهما فاستاق غنمهم ، وجاء بها إلى أبويه ، فنزلت هذه الآية "11" ، وهي عامة في كل من يتق الله تعالى فإنه يجعل له من كل ضيقٍ مخرجاً ، ومن كل كربٍ فرجاً ، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يؤمل ، ولا يخطر له على بال .

ومن لوازم الإيمان والاستقامة المداومة على التوبة والاستغفار واللجوء إلى الله تعالى فإنها مفتاح للخير وطريق للقوة والرزق ، وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تبين لنا أن التوبة والاستغفار ، واللجوء إلى الله تعالى والضراعة إليه له ارتباط وثيق بالأحداث الكونية التي تترتب على ذلك من تفريج الهموم و الكربات ، وإزالة المصائب والنكبات ، وإحلال الخيرات والبركات ، وإنزال النصر والرحمات ، وقد أكد هذه الحقيقة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم ، فنبي الله نوح ﷺ يقول لقومه كما أخبر الله عنه بقوله :{ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا ﴿ يرسل السماء عليكم مدراراً ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً }(نوح / الآيات : 10 _ 12) فالاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات ، قيل أنهم

بعدما كذبوه بعد تكرير الدعوة ، حبس الله عنهم القطر ، وأعقم أرحام نسائهم ، فوعدهم إن آمنوا أن يرزقهم الله الخصب ، ويدفع عنهم ما كانوا فيه ، وهذا هو الموافق للحكمة ، لأن الله يبتلي عباده بالخير والشر ـ ليرجعوا إليه ، ورُوي عن الحسن البصري (أَبُو سَعِيد الحَسَنُ بنُ يَسَار البَصْرِي ت / 110 هـ) أن رجلاً شكا إليه الجدب فقال : (استغفر الله) وشكا إليه آخر الفقر ، وآخر قلة النسل ، وآخر قلة ريع أرضه ، فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقال له الربيع : أتاك رجال يشكون أبواباً ويسألون أنواعاً ، فأمرتهم كلهم بالاستغفار ؟ فتلا له الآية ، ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء ، وهو الدعاء بطلب السُقيا على وجه مخصوص ، فإذا أجدبت الأرض ، وقحط المطر شرع الاستسقاء بالاتفاق ."[12] وهذه القاعدة التي يقررها القرآن قاعدة صحيحة مطردة ، فما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته ، فحققت العدل والأمن للناس جميعاً إلا فاضت فيها الخيرات ، ومكن الله لها في الأرض واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح سواء ."[13] وهذا نبي الله هود ﷺ يقول لقومه :{ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرار ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين }(هود / الآية : 52) فقد أوضحت هذه الآيات وغيرها بأن هناك ارتباطاً تاماً بين الأعمال الإنسانية وبين الحوادث الكونية التي تمسه فالأعمال الصالحة توجب فيضان الخيرات ونزول البركات . والأعمال الطالحة تستدعي تتابع البلايا والمحن وتجلب النقمة والشقوة والهلكة ."[14] إن الإيمان بالله واليوم الآخر وطاعة الله ورسوله هو طريق السعادة والخير والفلاح في الدنيا والآخرة كما قال تعالى :{ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة .. }(النحل / الآية : 97) فليس الإيمان والعمل الصالح قاصراً على الجزاء الأخروي فحسب كما يعتقد بعض الناس ، وإنما الإيمان والعمل الصالح ، حافز على الخير في الحياة الدنيا ، والباعث على إعمارها وإصلاحها بالإيمان والتوحيد ، ولذا كان من مضمون رسالة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم التركيز على التوحيد وإفراد الله بالعبادة وطاعة الرسول ثم اللجوء إلى الله تعالى بكثرة الضراعة والاستغفار والتوبة ، والبشر حين يحققون ذلك يلقون الخير والعزة والكرامة والحياة الطيبة الحسنة في هذه الدنيا كما قال الله تعالى :{ الر ۞ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ۞ أن لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير ۞ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ۞ إلى الله مرجعكم وهو على كل شيئ قدير}(هود / الآيات : 1_ 4) وقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه نموذجاً لقوم كانوا قد استحقوا العذاب والعقوبة ، ولكنهم حين عادوا إلى الله وآمنوا واستغفروا ، أنجاهم الله من العذاب ، ومتعهم بالحياة الطيبة ، إنهم قوم يونس ﷺ ، فحين دعاهم نبيهم كذبوا وأعرضوا فخرج نبي الله ﷺ مغاضباً وأنذرهم عذاب الله فلما رأوا علامات العذاب ومقدماته ندموا على ما كان منهم ، ولبسوا المسوح ، وتضرعوا إلى الله ، وبكى

الرجال والنساء والبنون ، وردوا المظالم إلى أهلها ، وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله برأفته ورحمته عنهم العذاب وأخروا في الحياة ومتعهم الله بقية حياتهم متاعاً حسناً كما قال الله تعالى :{ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين } (يونس/ الآية:98). "[15]" هذا بالنسبة للقوم نجاهم الله لما لجأوا وتضرعوا ، وأما بالنسبة لنبي الله يونس ﷺ فقد عتب الله عليه تصرفه ، حيث غضب من كفر قومه ، وإصرارهم على شركهم وتكذيبهم ، فخرج منهم مغاضباً دون إذن من الله تعالى ظاناً أن ذلك الأمر يسير لا يستحق العقاب ، غير أن الله تعالى أمر الحوت فابتلعه عند ركوبه البحر وإلقائه من القارب ، فكان في ظلمات وكربات ، ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ، ولكنه ﷺ فزع إلى الله وهتف باسمه منادياً{ فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} قال الله سبحانه :{ فنجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين }(الأنبياء / الآيتين : 87 _ 88) وهذا من كرمه تعالى وفضله على عباده المؤمنين فما من مسلم يقع في كرب ومعضلة ، ثم يتوجه إلى ربه ويقصده ويضرع إليه إلا نجاه ، كما أخبر النبي ﷺ قال : (دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لم يدع بها مسلم ربه في شيئ قط إلا استجاب له) "[16]" بل إن المشركين كانوا إذا وقعوا في شدة وكرب ، وأيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه . أخلصوا لله في التوجه والدعاء قائلين :{ لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين } (الأنعام/ الآية:63).

وقد جعل الله لهذه الأمة ضماناً من العذاب العاجل إن هي أخذت به ولجأت إليه كما قال الله سبحانه : {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون }(الأنفال / الآية : 33) فوجود النبي ﷺ بين أظهرهم أمنة لهم من العذاب ، ولزوم الاستغفار مانع من موانع وقوع العذاب بهم ، بعد أن انعقدت أسبابه . أخرج الترمذي عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (أنزل الله علي أمانين لأمتي {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون } فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة) "[17]" ، وروى الإمام البيهقي في شعب الإيمان بسندٍ صحيحٍ عن قتادة رحمه الله (أبو الخَطَّابِ قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ السَّدُوْسِيُّ البَصْرِيُّ ت / 117 هـ) قال : (إن القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، أما داؤكم فذنوبكم ، وأما دواؤكم فالاستغفار) "[18]" ، وفي مسند الإمام أحمد عن فضالة بن عبيد ﷺ عن النبي ﷺ قال : (العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله .) "[19]" ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (من لَزِمَ الاستغفار ، جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب) "[20]" فالتوبة والندم والاستغفار كل ذلك يعود على العبد بالعفو والرضى و القبول من الله تعالى وإذا رضي الله عن عبده حفظه ووفقه وأسبغ عليه النعم

وصرف عنه الشرور والنقم ، فقد جعل الله سبحانه في سنته وقدره أن فعل الحسنات والاستقامة على أمره تجلب الخير للعباد ، أفراداً وجماعات وأمما وشعوباً .

المبحث الثالث : الدعاء والتضرع سبب تفريج الكروب وزوال الهموم والغموم .

الدعاء طلب الإنسان من الله تعالى العناية والعون وإظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة وتعظيم الخالق والثناء عليه بما هو أهله ﷻ ، والدعاء من أعظم العبادات ، قال رسول الله ﷺ : (الدعاء هو العبادة)"[21]" والدعاء من أهم الأسباب الجالبة للخيرات ، والدافعة للكوارث والمصائب والنوازل ، فقد ورد في حديث ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال : (لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر ، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)"[22]" ولا يتنافى هذا الحديث مع ما ورد من أحاديث توضح أن الأحداث والأعمار والأرزاق مقدرة ، فإنها مقدرة بأسبابها ، وإن الدعاء من أعظم الأسباب ، ولم تقدر مجردة عن أسبابها : فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى لم يأتِ بالسبب قد يتخلف المقدور ، وهذا كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب ، وقدر دخول الجنة والنار بالأعمال ، لذلك عندما اعترض أبو عبيدة ﷺ على عمر ﷺ حين اختار لجنده الانتقال إلى الجبال بالشام حتى يرتفع الطاعون ، فقال له : أفراراً من قدر الله ؟ قال : لو غيرك قالها ياأبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ."[23]" وفي هذا بيان ضرورة الأخذ بالأسباب ومدافعة الأقدار بالأقدار ."[24]" فإذا أنزل بالناس البلاء وحلت بساحتهم الكوارث والمصائب فما عليهم إلا اللجوء إلى الله تعالى والضراعة إليه سبحانه بصدق وإخلاص لرفع ما نزل بهم ، وإزالة الضر الذي أصابهم ، وهذا هو ما يريده الرب تبارك وتعالى من عباده سيما في حال الشدائد والمحن التي يصابون بها كما قال جل وعلا :{ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون }(الأنعام / الآية : 43) وفي الآية عتاب على ترك الدعاء ، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا حين نزول العذاب ، ويجوز أنهم تضرعوا تضرع من لم يخلص ..والتضرع على هذا الوجه غير نافع"[25]" ، والأجدر بالعباد أن يقابلوا العذاب والمصائب بالانكسار لله والذلة والخضوع والتوجه الصادق إلى جنابه والاستعانة به ، ولكن الإنسان ظلومٌ كفارٌ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، قال الله تعالى :{ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون }(المؤمنون / الآية : 76) ولقد بين الله تعالى أن الناس إذا لجاءوا إليه مضطرين إذا نزل بهم ما لا قبل لهم به وأخلصوا له الدعاء أنه يجيب دعاءهم سبحانه كما قال سبحانه :{ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أَإِلَهٌ مع الله قليلاً ما تذكرون }(النمل / الآية : 62) فهو سبحانه المدعو عند الشدائد ، المرجو عند النوازل ، كما قال تعالى :{.. وإذا مسكم الضر في البحر ضَلَّ من تدعون إلا إياه..}(الإسراء / الآية : 67) فهو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه ، ولا يكشف ضر المضرورين سواه ."[26]" ومن

أنواع المضطرين : المظلومون ، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من دعائهم فقال : (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)"27".

ومن مظاهر استجابة الله لعباده ، استجابته لهم عند الشدة والقحط وقلة الأمطار ، فكم خرج المؤمنون على امتداد التاريخ يطلبون بقلوب وجلة تائبة من ربهم أن يسقيهم الغيث ، فتكون الإجابة سريعة في كثير من الأحيان ، ويأتي الغيث إلى القرية أو المدينة التي خرجت تدعو ربها ، والقرى والمدن التي بجوارها لا يأتيها شيء ، وقد أحسن الشاعر حين قال مصوراً هذه المعاني :

وكم أصاب المسلمين من جفاف ... فنفروا ثقالهم مع الخفاف

وطلبوا من الإله الفرجا ... فحققوا الفوز ونالوا المخرجا

فهل طبيعة أجابت أم وثن ... أم أنه السميع كشاف المحن "28"

وكم رأى المضطرون تفريجاً لكربهم بدعائهم لربهم وخالقهم في قديم الدهر وحديثه ، وعادة الله تعالى مع أحبابه وأصفيائه أنه يكشف همهم ، ويجيب دعاءهم ، وينصرهم في جهادهم وحروبهم كما قال الله تعالى :{ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين }(الأنفال / الآية : 9) وكان نظام الملك (الوزير الكبير قِوامُ الدين أبوعلي الحسنُ بنُ علي بنِ إسحاق الطُّوسيُّ ت / 485 هـ) الوزير الأول للسلطان السلجوقي ملكشاه (السلطانُ الكبيرُ جلالُ الدَّوْلَةِ أبو الفَتح مَلِكْشَاه بن السلطان آلب أرْسلان محمد بن جغربيَك السّلجوقي التُّركي ت / 485 هـ) ينفق الأموال الكثيرة على العلم والعلماء وطلاب العلم ، ويقيم المدارس ويشيد المساجد ، فوشى أحدهم بنظام الملك عند السلطان وقال له : إنه ينفق الأموال في غير محلها ، وأن تلك الأموال كافية لإقامة جيش تخيم راياته على أسوار القسطنطينية ، فعاتبه ملكشاه وطلب منه أن يبرر تصرفه ذلك فقال في إجابته للسلطان : أنا أقمت لك جيشاً يسمى جيش الليل إذا نامت جيوشك ليلاً قامت جيوش الليل على أقدامها صفوفاً بين يدي ربهم ، فأرسلوا دموعهم ، وأطلقوا ألسنتهم ومدوا إلى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك ، فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون ، وبدعائهم تبيتون ، وببركاتهم تمطرون وترزقون ."29"

المبحث الرابع : القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقي الأمة من العقوبات العاجلة ويحميها من السقوط :

لقد ضمن الله للمؤمنين النجاة من العذاب ما قاموا بهذه الفريضة وهذا الأمر، وهو الدعوة إليه والسعي لإصلاح ما أفسد المفسدون فقال سبحانه :{وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون} (هود/ الآية : 117).

وقال سبحانه في قصة أصحاب السبت الذين اعتدوا فيه واستباحوا الحرام بالحِيَل ، فلما فعلوا ذلك أهلكهم الله وعاقبهم الله ولم يسلم من العقاب إلا الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر قال تعالى :{ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ۞ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أومعذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ۞ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون }(الأعراف / الآيات : 163 _ 165) فقد بين الله تعالى أنه نجى الطائفة التي أمرت ونهت ، ووعظت وذكرت . وأهلك الطائفة التي اعتدت وطغت ، وانتهكت حرمات الله ولم ترعوِ أو تنتهِ ، ولم تستمع لنصح الناصحين . وهكذا ينجي الله رسله والمؤمنين وأتباعهم إلى يوم الدين ، فهي سنته تعالى لا تتبدل ولا تتغير كما قال سبحانه :{ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجِ المؤمنين }(يونس / الآية :103).

وهذا ما أكده النبي ﷺ في أحاديث كثيرة ، وبَيَّنَ ﷺ أن الناس إذا رأوا المنكر ثم لم يغيروه أو ينكروه وهم قادرون على ذلك ، فإنهم حينئذٍ يكونون معرضين للعقوبات الربانية العاجلة ، قال أبو بكر الصديق ﷺ في خلافته بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها { يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ..}(المائدة / الآية : 105) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)"30" ، وقال ﷺ : (ما من قومٍ يعمل فيهم بالمعاصي ، ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب)"31" ، وعن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)"32" فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب من الأسباب التي تمنع من إجابة الدعاء ، وعن جرير ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدروا على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا)"33" .

إن الواقع الإسلامي اليوم على امتداده واتساعه يعيش ومنذ أمد حياة الذلة والقلة ، والجهل والفقر ، والمرض والخوف والتخلف ، وتسليط الأعداء ، وما سبب ذلك إلا فشوا المعاصي والمنكرات ، والسكوت عليها ومعايشتها ، وغدت واقعاً معاشاً ، حتى أننا ندعوا ولكن لا يستجاب لنا لأن الخبث قد كثر والفساد قد انتشر ، ولم تقم الأمة بواجبها في هذا المضمار فكان هذا الواقع السيئ والذي لن يتحول أو يزول عن الأمة حتى تراجع دينها وتقوم بواجبها في الإصلاح والتغيير والدعوة إلى الله قال الله تعالى :{ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. } (الرعد/ الآية : 11) .

الفصل الثاني
ارتباط المعاصي والسيئات بالأحداث الكونية

المبحث الأول : العمل بالجرائم وإشاعتها يعقبها الخزي والعار والهلاك والدمار

إن من مسلمات الإيمان وبدهياته ، ومن حقائق القرآن وتقريراته التي أبدى فيها وأعاد ، هي أن العبد إذا عصى الله تعالى وخالف أمره وأفسد في الأرض فإنه لا يجني من ذلك سوى الحسرات والهلاك في الدنيا والآخرة ، وإذا عمل الناس بالمعاصي أصابهم شؤمها وعقوباتها وأثرت أفعالهم القبيحة على الإنسانية وعلى الحيوان والأرض والزروع والثمار وحصل فسادٌ كبيرٌ في الأرض ، فذنوب الخلق ومعاصيهم تُحْدِثُ في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزروع والثمار والمساكن ، كما قال الله تعالى :{ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون }(الروم / الآية : 41) .

إن ممارسة الجريمة وإشاعتها ومخالفة سنن الله تعالى في خلقه لا تنتج سوى الخزي والعار والهلاك والدمار ، وقد قص الله علينا في كتابه من أخبار الأمم الظالمة التي فسقت وعتت عن أمر ربها ورسله ، وأشاعت الجريمة في حياتها كيف فعل الله بهم ، فقوم لوط عليه السلام لما كذبوا الرسل وعملوا الفاحشة وأعلنوا بها عاقبهم الله ودمرهم ، لقد كان قوم لوط من أفجر الناس وأكفرهم ، وأسوأهم طويةً وسلوكاً ، يقطعون الطرق للسلب والنهب ، ويأتون في ناديهم المنكر ، ولا ينهون عن منكر فعلوه ، وقد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي : اللواط ، بأن ينزو الذكر على الذكر ويذرون ما خلق الله لهم من النساء ، فأرسل الله نبيه لوطاً عليه السلام بالرسالة الإلهية لهدايتهم وتحذيرهم سوء أفعالهم ، فدعاهم نبي الله عليه السلام إلى عبادة الله وتوحيده ونهاهم عن جريمة اللواط التي كانوا يمارسونها وحذرهم غاية التحذير ، ولكن القوم بدل أن يستجيبوا لنبيهم لوط عليه السلام هددوه قائلين له : إن لم تكف عن نهينا وتوبيخنا فسنخرجك من بلادنا . فأجابهم لوط عليه السلام وأعلن لهم عن إنكاره وبراءته وبغضه لما يعملون من جرائم وفواحش ، ثم كانت النتيجة أن الله عز وجل أهلكهم ودمرهم كما أخبر تعالى وبَيَّنَ في أكثر من سورة كقوله تعالى :{ فأخذتهم الصيحة مشرقين ۞ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ۞ إن في ذلك لآية للمتوسمين ۞ وإنها لبسبيل مقيم ۞ إن في ذلك لآية للمؤمنين}(الحجر / الآيات : 73 _ 77) ، وقال :{ فلماء جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ۞ مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد}(هود / الآيتين : 82 _ 83) والبقعة التي أصابهم العذاب بها هي البقعة التي تعرف اليوم بالبحر الميت أو بحيرة لوط ، ويرى بعض العلماء أن البحر الميت لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث ، وإنما حدث من بعد العذاب الذي جعل عالي البلاد سافلها وصارت أخفض منطقة عن مستوى سطح البحر ، وهذا من شؤم

الجريمة والمعصية ، حيث حصل الشؤم على البشر والأرض والماء . ثم يعقب الله تعالى على هذه الحادثة العظيمة والعذاب المدمر بقوله :{وما هي من الظالمين ببعيد } أي أن العذاب ليس ببعيد عمن يعمل عمل قوم لوط ، بل العقاب الإلهي سيحل بمن عمل عملهم "34"، ويفصل الرسول ﷺ ويبين العواقب الوخيمة التي ستحل بمن يمارس الفساد والانحراف والشذوذ ، فقال ﷺ : (لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط ، حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم . وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم)"35" .

وهاهي المجتمعات البشرية التي شاعت فيها الفواحش ، واستباحت المحرمات وأطلقت لشهواتها العنان ، وأعلنت وجاهرت بذلك الفساد ، هاهي تجني وتحصد ما غرست وزرعت ، وما فعلت وقدمت ، لقد عاقبهم الله بالأمراض والأوبئة التي لا عهد لهم بها ، ولا قبل لهم بمقاومتها ، إن مرض فقد المناعة (الإيدز) الذي يأتي نتيجة لممارسات جنسية محرمة كالزنا واللواط وغير ذلك من انحرافات ، إنه يحصد عشرات الملايين سنوياً ، ووفقاً لإحصاءات منظمة الصحة العالمية فإن وباء الإيدز يقتل أكثر من مليوني شخص كل عام في أفريقيا وحدها ، وتقدر الأمم المتحدة عدد الأفارقة الذين فقدوا حياتهم نتيجة المرض منذ تشخيصه للمرة الأولى بأحد عشر مليوناً ، ويصنف هذا الوباء في إفريقيا بأنه القاتل رقم واحد ، وهو الرابع في بقية أنحاء العالم وهناك أمراض وفيروسات أخرى تصيب الذين ظلموا وشذوا وتمردوا على الفطرة{وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون }(النحل / الآية : 33)"36" .

المبحث الثاني : الاستكبار في الأرض والبغي فيها سببٌ لتعجيل الله العذاب في الدنيا :

وإذا كان هذا الإجرام والفساد في جانب واحد من جوانب الانحراف وهو الوقوع في جريمة الزنا واللواط والإعلان بها والمجاهرة والدعوة إليها . فهناك جوانب أخرى من صور الفساد التي تؤدي إلى خراب الأرض وفسادها وإهلاك الحرث والنسل بسبب الاستكبار في الأرض والبغي فيها بغير الحق ، كما قال الله تعالى :{ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ۞ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد }(البقرة / الآيتين : 204 _ 205) والدول حين تسير على هذه السياسة الإجرامية يعجل الله لها العذاب ، ويأخذهم بالسنين ونقص الأنفس والثمرات ، ويرسلَ عليهم أنواعاً من العذاب كما قال الله ﷻ في سلفهم فرعون وأعوانه وأركان نظامه :{فأرسلنا عليهم الطوفان

والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين }(الأعراف / الآية : 133) والدول على مختلف الأعصار والأقطار حين تفسد وتُكثِر الفساد يعاقبها الله تعالى كما قال سبحانه :{ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ۞ إرم ذات العماد ۞ التي لم يخلق مثلها في البلاد ۞ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ۞ وفرعون ذي الأوتاد ۞ الذين طغوا في البلاد ۞ فأكثروا فيها الفساد ۞ فصب عليهم ربك سوط عذاب ۞ إن ربك لبا المرصاد}(الفجر / الآيات : 6 _ 14) فكما أهلك الأمم والقرون الأولى بجرائمهم وفسادهم فسيعاقب ويهلك الآخرين ، وكأن قائلاً يقول : لقد أخبرنا الله تعالى عن فعله بالمكذبين السابقين في الماضي فكيف بالحاضر والمستقبل بالنسبة للمستكبرين والمفسدين فكان الجواب { إن ربك لبا المرصاد } فلا يفلت من عقابه مجرم ولا ظالم.

وها نحن نشاهد عقوبات الله تعالى في دول عظمى حين طغت وبغت وأكثرت الفساد في الأرض كيف دمر الله عليهم ، لقد شاهدنا سقوط إمبراطورية الإلحاد والفساد والقتل والتدمير ، فيما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي ، ثم انفرد بالأمر الصليبيون بقيادة الأمريكان وأعلنوا في غرور وكبرياء بأنهم القوة الوحيدة في العالم ، وكفروا وظلموا وأسرفوا في الظلم والطغيان ، واستباحوا شعوب العالم وبغوا وعتوا عتواً كبيراً ، وها نحن أولاء نشاهد سنن الله تحيط بهم ، وتسوقهم الأقدار إلى حتفهم بسبب ظلمهم وطغيانهم ، إن سنن الله تعالى تنحت في كيانهم وتنخر في قواهم ، إن الصليبية ورأسها أمريكا الآن تدفع ضريبة جبروتها وطغيانها من اقتصادها ، وسمعتها وجيوشها واستخباراتها ، لقد أخرجهم الكبر والطغيان من بلادهم ليلقوا حتفهم وهزيمتهم في مواقع كثيرة من العالم الإسلامي ، ومن الأمور المقررة والمستفادة من تجارب البشرية ما ذكره الإمام ابن تيمية رحمه الله (شَيْخُ الإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِيْنِ أَبو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بنُ عَبدُ الحَلِيم بن عَبدُ السَلامِ الحرَّانِي ت / 728 هـ) حين قال : (.. فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة ، وعاقبة العدل كريمة ، ولهذا يُروى (الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة)"37" فالظلم يجلب غضب الرب وسخطه ، والظلم يخرب الديار ويقوض الحضارات وبسببه تنهار الدول ."38"

إن المتأمل فيما يجري من أحداث بشرية فاسدة ومفسدة ، ثم يتأمل نتائجها في أحداث كونية ، سيراها مرتبطة بها ارتباط المقدمة بالنتيجة ، والسبب بالمسبب بلا ريب ، ومن ذلك فساد البيئة ، والأمراض التي ظهرت في البشر والحيوان كجنون البقر وأنفلونزا الطيور ، وارتفاع الأسعار ، وكثرة الزلازل ، وانتشار الفتن ، وكثرة القتل والاستخفاف بالدماء ، وانعدام الأمن ، كل ذلك إنما هو ثمرة ونتيجة لما يفعله الكافرون الظالمون . فما يجري إذا ليس بمعزلٍ عن ما يصنعه الإنسان ويفعله وهذه حقيقة لا بد من إدراكها ووعيها جيداً حتى يعلم الخلق أنما بغيهم على أنفسهم . قال رسول الله ﷺ : (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في

الآخرة من : البغي ، وقطيعة الرحم)"[39]" . وقال ﷺ : (ليس شيء أُطِيْعَ الله فيه أعجل ثواباً من صلة الرحم ، وليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم ، واليمين الفاجرة ، تدع الديار بلاقع)"[40]" .

المبحث الثالث : الترف والفسق يؤدي إلى سقوط الدول وهلاك المجتمعات .

الترف هو التنعم والترفه ، والمترف هو الذي أبطرته النعمة وسعة العيش فتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها ."[41]" ، والمترفون همهم ساقطة واهتماماتهم خسيسة ، فهم لا يهتمون إلا بملاذ الدنيا وشهواتها وجمع حطامها، لا يهمهم ما يكون في الناس من فساد ومنكرات ، ولا يكترثون لها ولا ينهون عنها لانشغالهم بملذاتهم وشهواتهم ، ويعظم الخطر حين يكون الترف والفسق في الطبقات الحاكمة ، فإنهم بسلوكهم وترفهم يؤثرون على عامة الناس ، ويكون هَمُّ الناسِ وشغلهم الشاغل هو محاكاة المترفين والتشبه بهم ، ويقل في هذا الموضع الناصحون ويتوارى المصلحون ، وإذا وصلت الأمة إلى هذه المرحلة تكون قد عرضت نفسها للعقاب والتدمير قال الله تعالى :{فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين }(هود / الآية : 116) ، وقوله تعالى :{ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه } أراد بالذين ظلموا : تاركي النهي عن المنكرات ، أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنما اهتموا بالتنعم والترف والانغماس في الشهوات ، والتطلع إلى الرياسة والسعي لها ، وجمع الثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ، ورفضوا ما وراء ذلك مما ينفعهم في الآخرة ، ونبذوه وراء ظهورهم ."[42]"

فالدول حين تقصر اهتماماتها بالملذات والشهوات وتغرق في الترف والتنعم تسقط همتها ، وتقعد عن طلب معالي الأمور ، تؤثر حب السلامة والرضى بالدون فيطمع فيها أعداؤها ، فيتسلطون عليها ويأخذون ما عندها من أموال وثروات ، بعد أن يأفل نجمها ويذهب ريحها ، وهذه سنة تاريخية ونتيجة حتمية ، تؤول إليها الدول المترفة .

وكذلك الأمر بالنسبة للشعوب المنعمة والمترفة التي تغرى بالراحة والكسل ، لا تحب الجد والجهد ، ولا تبذل في سبيل المجد والعمل ، وتفقد الرغبة في التنافس أو التسابق في معالي الأمور ، فهم صدى للحكام المترفين ونسخة من فسقهم وترفهم قال الله تعالى :{وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً}(الإسراء / الآية : 16) والمعنى كما جاء في التفسير : إذا دنا وقت هلاكها أمرنا بالطاعة مترفيها أي متنعميها وجبابرتها وملوكها ، ففسقوا فيها فحق عليها القول فأهلكناها ، وإنما خصَّ الله تعالى المترفين بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة للجميع ، لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال ، وما وقع من سواهم إنما وقع لاتباعهم وإغوائهم ، فكان توجه الأمر إليهم آكد ."[43]"

وقد جاء في السنة مايؤكد هذا المعنى ويشير إليه ويجليه فعن ابن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) "[1]"

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : ورأى سكة وشيئاً من آلة الحرث فقال : سمعت النبي ﷺ يقول : (لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل) ."[2]"

وهذه الأحاديث كما قال العلماء محمولة على من شغله الحرث والزرع وحب الدنيا والتكالب عليها عن القيام بالفرائض والواجبات ، كالدعوة إلى الله تعالى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، والناس حين يشتغلون بدنياهم ويوغلون في طلبها وحبها والحرص عليها يكونون قد وقعوا في الفخ ، وسقطوا في التهلكة ، وهذه حقيقة مشاهدة وواقعة في الحياة البشرية في قديم الدهر وحديثه ، ويؤكد ذلك ما جاء عن أبي عمران أسلم قال : غزونا من المدينة نريد القسطنطينية ، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة ، فحمل رجل _ منا _ على العدو ، فقال الناس : مَهْ مَهْ ! لا إله إلا الله ! يلقي بيديه إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب الأنصاري : إنما تأولون هذه الآية هكذا ، أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة ، أو يُبلي من نفسه ، إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه ، وأظهر الإسلام ، قلنا بيننا خفياً من رسول الله ﷺ : هلم نقيم في أموالنا ونصلحها ، فأنزل الله تعالى { وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد ، قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية)) "[3]"

إن جمع المال وحبه وكنزه وعدم إنفاقه في سبيل الله تهلكة وهلاك للنفس بالشح والطمع ، وتهلكة للجماعة بالعجز والخور والضعف ، وإغراء للأعداء بها حيث يطمعون بها ، ويأخذون ما بيدها .

وقد أخبر النبي ﷺ أن حُبَّ الدنيا وكراهية الموت سبب من أسباب تسلط الأعداء علينا ، كما جاء عن ثوبان ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : ((يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذٍ ؟ قال : (بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهْن) . فقال قائل يا رسول الله : وما الوهْن ؟ قال : (حب الدنيا وكراهية الموت) "[4]" .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (... وما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله"[5]"

وعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا مشت أمتي بالمطيطاء ، وخدمها أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط شرارها على خيارها) "[49]".

إن المترفين إذا لم يوجد من يأخذ على أيديهم عاثوا في الأرض فساداً ، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها ، وأرخصوا القِيَم العليا التي لا تعيش إلا بها ولها . ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها ، فتهلك وتطوى صفحتها ، وهذه سنة نرى آثارها وندرك ارتباط الترف بالهلاك والتدمير وأن ذلك نتيجة طبيعية . "50"

المبحث الرابع : الآفات والمصائب سببها المعاصي والجرائم .

قال الله تعالى :{وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير }(الشورى / الآية : 30) والخطاب في الآية موجه إلى المجتمع ، والمراد : أن المصائب العامة الشاملة التي تصيب المجتمع كالقحط والغلاء والوباء والزلازل وغيرها إنما هي بسبب معاصي المجتمع ككل ، أي بين أعمال الإنسان وبين النظام الكوني ارتباطٌ خاصٌ ، فلو جرى المجتمع الإنساني على ما تقتضيه الشريعة وتهتدي إليه الفطرة ، من الاعتقاد والعمل لنزلت عليه الخيرات ، وفتحت عليه البركات ، ولو أفسدوا لجنوا على أنفسهم بالفساد والخراب ، هذا ما تقتضيه هذه السنة الإلهية ، إلا أن ترد عليهم سنة الابتلاء أو سنة الاستدراج والإملاء فينقلب الأمر . ويمكن أن يشمل الخطاب الأفراد كذلك ، فيكون ما يصيب كل إنسان من مصيبة في نفسه أو ماله أو ولده أو عرضه مستنداً إلى معصية أتى بها ، ويعفو الله عن كثير منها . فالآية مسوقة لبيان ارتباط المصائب بالمعاصي ، وكون المعاصي ذوات آثار دنيوية سيئة منها ما يصيب الإنسان ولا يخطئ ، ومنها ما يُعفى عنه فلا يصيبه لأسباب صارفة وحكم مانعة كصلة الرحم والصدقة ودعاء المؤمن والتوبة . "51"

قال الله تعالى :{ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون } (الروم / الآية : 41) والظاهر من الآية الكريمة ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه سواء كان راجعاً إلى أفعال بني آدم من معاصيهم واقترافهم السيئات ، وتقاطعهم وتظالمهم وتقاتلهم ، أو راجعاً إلى ما هو من جهة الله سبحانه بسبب ذنوبهم كالقحط وكثرة الخوف والموتان ونقصان الزرائع ونقصان الثمار . "52"

قال الإمام ابن القيم : أراد أن الذنب سبب الفساد الذي ظهر ، وإن أراد أن الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها فيكون اللام في قوله تعالى :{ليذيقهم بعض الذي عملوا } لام العاقبة والتعليل .

وعلى الأول فالمراد بالفساد النقص والشر والآلام التي يحدثها الله في الأرض بمعاصي العباد ، فكلما أحدثوا ذنباً أحدث الله لهم عقوبة ، كما قال بعض السلف كلما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة .

والظاهر _ والله أعلم _ أن الفساد المراد به الذنوب وموجباتها ويدل عليه قوله تعالى :{ ليذيقهم بعض الذي عملوا } فهذا حالنا . وإنما أذاقنا الشيء اليسير من أعمالنا . فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة. "53"

ومن الآفات التي تسببها الذنوب والمعاصي ، ما يحل في الأرض من الخسف والزلازل ويمحق بركتها ، وقد مر رسول الله ﷺ على ديار ثمود ، فمنعهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون ، ومن شرب مياههم ، ومن الاستسقاء من آبارهم "54" ، لتأثير شؤم المعصية في الماء وكذلك شؤم تأثير الذنوب في نقص الثمار وما تُرى به من الآفات . "55"

ومن الآثار والآفات الكونية التي أفسدت على الإنسان والحيوان والنبات بيئتهم ، بسبب الكفر والمعاصي والطغيان وما يصدر عن الإنسان من أفعال وتصرفات تكون سبباً لإهلاك الحرث والنسل ، إن العالم اليوم يصرخ ويئن ويحذر من المصائب والكوارث التي تحاصره وتحيط به بسبب ما يفعله ويكسبه من الأقوال والأفعال ، وبين وقت وآخر تعقد المؤتمرات الدولية لتناقش مدى تأثير أنشطة الإنسان على تلوث البيئة وتغير المناخ، وما ينتج عن ذلك من عواقب وخيمة وأضرار جسيمة على كوكب الأرض التي وضعها الله للأنام وقد أطلقوا على هذه الظاهرة : (ظاهرة الاحتباس الحراري) وهذه الظاهرة تشكل خطراً على الأرض وسكانها ، حيث يحدث تغير مناخي ، سمته الأساسية ارتفاع درجة حرارة الأرض وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة تؤثر سلباً على الإنسان والنبات والحيوان ، وتحذر كثير من الجهات العلمية والسياسية من أنه إذا لم تتخذ إجراءات حاسمة للحد من انبعاث الغازات الضارة بالبيئة والتي يسببها الإنسان بسوء استخدامه وإسرافه للطاقة والإفراط في إحراق الوقود ، وما ينتج من انبعاث الغازات الناجمة عن وسائل النقل والمصانع والأدخنة المتصاعدة من إحراق أنابيب النفط ، والمصانع الكبرى ، والتجارب النووية وغيرها ، كل ذلك يؤدي إلى إفساد الأرض وتغيير مناخها مما يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة ، ويشكل ذلك تهديداً للصحة العامة ويعمل على تكاثر أنواع ضارة من الحشرات وانقراض أنواعٍ برية وبحرية من الحيوانات والنباتات وتصحر الأرض ، وكنتيجة للتغيرات الكبرى في المناخ يشهد العالم انهيار جبالٍ من ثلوج القطب ، مما يؤدي إلى ارتفاع مستوى مياه البحر مما يتسبب في غرق مناطق ساحلية شاسعة ذات كثافة سكانية عالية . كما يؤدي ذلك إلى ضعف خصوبة التربة ، وتدني الإنتاج الزراعي ، ومعاناة البشرية من ظروف جوية وظواهر طبيعية قاسية ، إضافة إلى ما يحدث من انهيارات ثلجية وانزلاق الصخور . وكل تلك الأمور سببها فساد الإنسان وإفساده ، وصدق الله القائل :{ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس... }"56".

المبحث الخامس : آثار الذنوب والمعاصي على الإنسان والحيوان والبيئة :

إن للمعاصي والذنوب آثاراً أخبر الله عنها في كتابه ، ويراها الإنسان في التأريخ البشري قديماً وحديثاً واقعاً مشاهداً ، ويمكن أن نجمل تلك الآثار في النقاط الآتية :

1. المعاصي تزيل النعم سواء أكانت تلك النعم من المأكول أو المشروب أو المركوب أو في المتاكن الفارهة والقصور الشاهقة أو كانت نعمة الأمن والاستقرار ، فالمعاصي والذنوب الصادرة من البشر تزيل ذلك إما كلية أو بنقصانها كما قال الله تعالى :{ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون }(النحل/ الآية : 112).

وقد أخبر الله في كتابه عن مصارع الأمم المكذبة الكافرة التي كانت ترفل في النعم والخيرات ثم حلت بها العقوبات بسبب الكفر والظلم ، ومن ذلك ما حصل لأهل سبأ كما قال سبحانه في شأنهم :{ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ۞ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيئ من سدر قليل ۞ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور}(سبأ/ الآيات : 15 _ 18) .

2. حلول الهزائم وتسلط الأعداء إنما يكون بسبب المعاصي والآثام والمخالفات الصادرة من الناس ، ومن ذلك التفرق والتنازع على متاع الحياة ومخالفة الرسول ﷺ ، وقد بين الله تعالى للصحابة رضوان الله عليهم سبب هزيمتهم في أحدٍ فقال :{ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم .. }(آل عمران / الآية : 152) وقال : { أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيئ قدير }(آل عمران / الآية : 165) .فأي جيش يخرج إلى معركةٍ وهو مليئ بالكبر والغرور والعجب فإن الهزيمة والانكسار هي النتيجة الحتمية لذلك ، وقد حذر الله المؤمنين من سلوك هذه الأخلاقيات إن أردوا النصر كما قال تعالى :{ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ۞ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين }(التوبة / الآيتين : 25 _ 26) ، فالنصر ليس بكثرة العدد والعدة وإنما هو من عند الله تعالى ، وحين خرج كفار قريش لمحاربة رسول الله ﷺ في معركة بدر كانوا مملوئين كبراً وغروراً وبطراً فكانت الدائرة عليهم وأذلهم الله وأخزاهم ، ونبه سبحانه المؤمنين وحذرهم من أن يسلكوا سلوكهم في حروبهم وجهادهم فقال سبحانه :{ ولا تكونوا كالذين خرجوا من

ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط . وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريئ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب }(الأنفال / الآيتين : 47 _ 48).

3. ومن آثار المعاصي أنها تكون سبباً للخسف والزلازل والفتن ، والخسف لا يكون إلا بسبب البغي والطغيان كما أخبر الله تعالى عن قارون فإنه لما بغى الفساد في الأرض وتجبر وطغى واستعلى ، عاجله الله بالعقوبة وخسف به وبداره الأرض كما قال سبحانه :{ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين }(القصص / الآية : 81) . وليس هذا خاصاً بقارون فحسب ، ولكن العقوبة تلاحق كل من طغى وبغى وشاق الله والرسول ﷺ ، وقد أخبر النبي ﷺ بأن الأمة ستعاقب مثل تلك العقوبات إذا فشت فيها المعاصي والمنكرات كما جاء في الحديث عن عمران بن حصين ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف ، إذا ظهر القيان والمعازف وشربت الخمور) "[57]"، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان ..) "[58]"، ولقد كثرت في عصرنا الخسوفات والزلازل وتلك الآيات التي يعظ الله بها عباده ويخوفهم لكي يرجعوا إليه كما قال سبحانه :{..وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً}(الإسراء / الآية : 59) .

4. ومن آثار الذنوب على الدواب ما أخبر الله _ ﷻ _ عنه في كتابه بقوله :{ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً }(فاطر / الآية : 43) قال ابن مسعود ﷺ في قوله سبحانه :{ ما ترك على ظهرها من دابة } جميع الحيوانات مما دب ودرج ، وقال أبو هريرة ﷺ : والذي نفسي بيده إن الحبارى لتموت هزلاً في وكرها بظلم الظالم . "[59]"

وعن أبي قتادة بن ربعي ﷺ أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فقال : (مستريح و مُستَرَاحٌ منه) قالوا : يا رسول الله ما المستريح ، وما المستراح منه ؟ فقال : (العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب) "[60]" فهي تستريح من أذاه لها بشؤم معصيته ، فتُمنع من رزق الله من المطر وغيره ، أو بإيذائه لها بأي أنواع الإيذاء المادي من ضرب أو قتل أو غير ذلك . قال مجاهد (أبوالحَجَّاجِ مُجَاهِدُ بنُ جَبْر المكي ت / 103 هـ): إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر ، وتقول هذا بشؤم معصية بني آدم . وقال عكرمة (أبو عَبْدِ اللهِّ المَدَنِي، مَوْلَىَ عَبْدِ اللهِّ بنِ عَبَّاس ت /

105 هـ) : دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون : مُنعنا القطر بذنوب بني آدم ."[61]

وعن ابن مسعود ﷺ قال : إن كان الجُعَل ليعذب في جحره من ذنب ابن آدم ثم قرأ{ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة }"[62] .

5. ومن آثار الذنوب والمعاصي أنها تجلب على صاحبها غضب المخلوقات واستنكارها غضباً لله رب العالمين .

فالسماوات والأرض والجبال وكل العوالم تغضب غضباً شديداً حين تسمع الكفر من بني آدم ، فهؤلاء النصارى حين نسبوا لله الولد وافتروا على الله الكذب وهذا من أعظم الإفك وأكبر الكبائر جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (يقول الله تبارك وتعالى : { كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه لي فقوله : اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد } .)"[63]، وقد أخبرنا الله في كتابه عن موقف السماوات والأرض والجبال عند سماعها هذا الكفر فيقول سبحانه :{ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ۞ أن دعوا للرحمن ولداً}(مريم / الآيتين : 90 _ 91) وفي الآية بيان لسرد فعل تلك المخلوقات لتلك الفرية العظيمة ومدى تأثرها لذلك ، بما أودعه الله تعالى فيها من الإدراكات عند سماعها الإد ، قال الإمام ابن كثير رحمه الله في معنى الآية : أي يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم ، إعظاماً للرب وإجلالاً لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده ، وأنه لا إله إلا هو وأنه لا شريك له وأنه لا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفء له بل هو الواحد الأحد ، وفي كل شيء له آيةٌ ، تدل على أنه الواحد)"[64] .

والسماء والأرض لا تبكي على موت الكافرين والمنافقين كما قال سبحانه :{ فما بكت عليهم السماء والأرض ..} (الدخان / الآية : 29) ، بل إن الأرض لا تقبل أجساد بعض المنافقين للدفن فيها ، وذلك لما قدموه من الكفر وعصيان الله عز وجل ، فتنبذ أجسادهم خارجها ، كما جاء في صحيح مسلم عن أنس ابن مالك ﷺ قال : (كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ ، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب ، قال : فعرفوه ، قالوا : هذا يكتب لمحمد ، فأعجبوا به ، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم ، فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ثم عادوا .... فتركوه منبوذاً)"[65] ، وكذا الريح تتبرأ من أهل النفاق والمعاصي الذين خرجوا عن عبودية الله تعالى ، فعن جابر ﷺ قال : قدم رسول الله ﷺ من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح كادت أن تدفن الراكب فقال رسول الله ﷺ : (بعثت هذه الريح لموت منافق) فقدم المدينة فإذا عظيم من المنافقين قد مات ."[66]

* ومن عجائب البحر التي تدل على إدراكه ، وتدل أيضاً على عبوديته لله تعالى ، أنه يَعظُم عليه أن يرى

ابن آدم وهو يعصي الله عز وجل ، مع حلمه سبحانه به فيتألم لذلك ويتمنى هلاك ابن آدم . بل ويستأذن ربه في ذلك ، فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال : (ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضح عليهم فيكفه الله عز وجل) وفي رواية أخرى (ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق ابن آدم والملائكة تعاجله وتهلكه والرب سبحانه وتعالى يقول دعوا عبدي)"67" فالبحر يتمعر بسبب معصية ابن آدم ويتمنى إغراقه ، مع استطاعة البحر ذلك ولكنه مأمور من قبل خالقه ، والسبب في استطاعته إغراق البشر هو : أن نسبة الجزء المائي للكرة الأرضية تمثل ثلاثة أرباعها ، وأما الجزء الذي يعيش عليه البشر هو الربع ، والغريب أن الجزء المائي يعلو على ذلك الربع ، ومع هذا لم يحدث ولا يحدث بأن يعلو الماء على الجزء الذي تعيش عليه الكائنات البشرية والحيوانية والجمادية ، وهذا من حكمته سبحانه في هذا الكون ."68"

ومن خلال هذه النصوص من الكتاب والسنة يتبين لنا الارتباط الوثيق بين ما يفعله البشر وسائر المخلوقات القائمة على العبودية الحقة لربها وخالقها ، فإذا أطيع الله عز وجل من قبل بني البشر فرحت وتجاوبت معهم وأفاضت عليهم بإذن الله الخيرات والبركات ، وإذا ما عصى البشر ربهم فإن العوالم كلها تغضب وتستنكر لكفرهم ومعاصيهم ولولا حلم الله تعالى على عباده ، وتأجيل عقوبتهم ، لهاجت المخلوقات وانتقمت من بني آدم ودمرتهم ، ولما ترك الله على ظهر الأرض من دابة ولكنه سبحانه حليم بعباده ، ولهذا جاء اسمه الحليم في القرآن في غير موضع ، ولسعته يقرنه سبحانه باسم العليم كقوله :{..وكان الله عليماً حليماً }(الأحزاب / الآية : 51) ، {والله عليمٌ حليمٌ }(النساء / الآية : 12) وفي الأثر أن حملة العرش أربعة : اثنان يقولان : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك . واثنان يقولان : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ."69"

الخاتمة

بعد أن عشنا في هذا البحث مع مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين العلاقة والآثار الناتجة عن السلوك الإنساني وارتباطه بالكون وبالمخلوقات الأخرى وما يترتب على ذلك .

وقد تمحور البحث حول نقاط أجملها فيما يلي :

خلق الله الإنس والجن للعبادة والوجود كله عابد طائع لربه مسلمٌ له ، ولا يشذ عن ذلك إلا الكافرون، فلا مكان للفوضى والعشوائية والعبث في خلق الله ، وإنما كل شيء بحكمة وتقدير العزيز العليم .

- مانزلت مصيبة أو عقوبة إلا بذنبٍ ، ولا ترفع الكوارث والنكبات والمصائب إلا بالعودة إلى الله والتوبة والاستغفار والضراعة إليه جل وعلا ، وقد ضمن الله لعباده النجاة والخير والسعادة في الدنيا والآخرة إن هم رجعوا إليه وآمنوا به وأخلصوا له .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيقه في واقع الحياة يقي المجتمع البشري من التحلل والفوضى والفساد والظلم والاستبداد .
- إشاعة الفواحش والجرائم تسبب الشقاء والهلاك للبشر ، وتُحِلُ بهم النكبات ، وتُتَابع عليهم العقوبات العاجلة في الأموال والأنفس والثمرات .
- الغرور والاستكبار في الأرض ، والفساد فيها والبغي ، رعونة وطيش يُوْدي بأهله عاجلاً ، ويُسرع بهلاكهم وزوالهم .
- الترف والفسق ينخر الدول ويقوضها ويُفسد المجتمعات ، ويُفقدها القدرة على الصمود والمقاومة أمام شهواتها وأعدائها ، فتَسقط وتشقى ، وتُستَعبد وتَذِل .
- كل ما يحدث من فساد في الأرض من تغيّر في البيئة والمناخ ، أو نقصٍ في الزروع والثمار ، وانعدام البركة وقلة الأمطار ، وفقدان الأمن والاستقرار ، وانتشار الخوف والأمراض والفقر وسفك الدماء ، وتسليط بعض الأمم على بعض ، إنما هو من آثار الذنوب والمعاصي ، وعصيان الرب جل وعلا ، وإن العوالم كلها تَغضبُ إذا عصى بنو آدم ربهم ، ولولا حلم الله ورحمته لعاجلهم بالعقوبات وماترك على هذه الأرض إنساناً يدب ويمشي على ظهرها ، ولكنه سبحانه يمهلهم ويؤخرهم إلى أجلٍ محدودٍ {.. فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون}(الأعراف : الآية / 34) .

وأخيراً فإن هذه المعاني الغائبة عن الأذهان لا بُدَّ من بيانها وتوعية الأمة بها حتى لا تُحِسَ بالغربة وهي تعبد الله _ جلَّ وعلا _ وترى ملايين البشر عن ربهم وآياته معرضون ، فإنها حين تعلم وتدرك أن الكون كله بسماواته وأرضه وما فيهما وما بينهما يعبد الله ويسبحه وينزهه ويعظمه {تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً}(الإسراء : الآية / 44) وهنا يعلم المرء أنه ليس بمفرده ، بل الكون كله سائر معه في عبادة وطاعة وصلاة وذكر{.. كلٌ قد علِم صلاته وتسبيحه .. }(النور : الآية / 41) فيُحِسُ بالطمأنينة واليقين ، ويشعر بالعزة والرفعة والكرامة بتحقيق العبودية لله رب العالمين ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

الـهوامـــش

(1) ينظر : لسان العرب 10 / 442 ، وترتيب القاموس 2 / 600 ، والمصباح المنير 1 / 286 ، والمعجم الوسيط 1 / 445 .

(2) ينظر : أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي 2 / 328 .

(3) ينظر : المصباح المنير 1 / 124 ، وترتيب القاموس 1 / 600 .

(4) ينظر : المعجم الوسيط 2 / 806 ، وترتيب القاموس 4 / 103 .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 12 / 156 .

(6) زاد المسير في علم التفسير 5 / 496 .

(7) التفسير القيم للإمام ابن القيم صـ 504 جمع محمد أويس الندوي .

(8) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن السعدي صـ 813 .

9) البخاري مع الفتح 10 / 397 .

(10) ينظر : القرطبي 19 / 18 والدرر المنثور للسيوطي 8 / 305 .

(11) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري 14 / 138 والدر المنثور للسيوطي 8 / 196 وأيسر التفاسير للجزائري 5 / 375 ، وأورد الحاكم في المستدرك حديثاً بمعناه وصححه وتعقبه الذهبي رحمه الله بقوله : بل منكر ، 1 / 727 برقم 1993 ، و 2 / 534 برقم 3820 .

(12) تنوير الأذهان في تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي اختصار الشيخ محمد علي الصابوني 4 / 416 .

(13) في ظلال القرآن لسيد قطب 6 / 3713 .

(14) ينظر : الميزان في تفسير القرآن لمحمد الطباطبائي 10 / 300 .

(15) ينظر : مختصر تفسير ابن كثير للصابوني 2 / 207 ومع الأنبياء في القرآن لطبارة صـ 306 .

(16) الترمذي 5 / 529 برقم 3505 ، وأحمد 1 / 170 ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي .

(17) الترمذي 5 / 270 برقم 3082 ، وأحمد في المسند 4 / 393 (19524) موقوفاً على أبي موسى وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره ، وقال الترمذي : حديث غريب ، وضعف الألباني رفعه ، وروى مسلم في صحيحه 4 / 1961 برقم2531 قوله ﷺ = = : (النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا آمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي آمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) .

(18) الجامع لشعب الإيمان 12 / 458 .

(19) المسند 6 / 20 (23999) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حسن بمجموع طرقه ، والدرر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي 4/ 57 .

(20) أبو داوود 2 / 85 برقم 1518 ، وابن ماجة 2 / 1254 برقم 3819 ، والحاكم 4 / 291 برقم 7677 وصححه، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم 705 .

(21) أبو داود 2 / 76 برقم 1479 ، والترمذي 5 / 211 برقم 2969 وقال حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود وصحيح سنن الترمذي .

(22) الترمذي 4 / 448 برقم 2139 وقال : حسن غريب ، وابن ماجة 2 / 1334 برقم 4022 ، وأحمد في المسند 5 / 280 ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 154.

(23) البخاري 5 / 2163 برقم 5397 ومسلم 4 / 1740 برقم 2219 .

(24) ينظر : الجواب الكافي 15 والتربية الروحية والاجتماعية د/ أكرم ضياء العمري صـ 104 .

(25) ينظر : تفسير القرطبي 6 / 425 .

(26) ينظر : تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير 3 / 387 .

(27) البخاري برقم 1496 فتح الباري 3 / 357 .

(28) ينظر : كتاب الإيمان للشيخ الزنداني وآخرين صـ 64 .

(29) ينظر : العراق في التاريخ صـ 506 نقلاً عن التربية الروحية والاجتماعية صـ 102 .

(30) أخرجه أبو داود2 / 525 (4338) ، والترمذي 4 / 467 (2168) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود وصحيح سنن الترمذي .

(31) أخرجه أبو داود 2 / 525 (4338) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(32) أخرجه الترمذي 4 / 468 (2169) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي .

(33) سنن أبي داوود 2 / 526 (4339) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(34) ينظر : مع الأنبياء في القرآن لعفيف طبارة صـ142 وما بعدها .

(35) سنن ابن ماجة 2 / 1332 (4019) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة .

(36) ينظر : الإعجاز العلمي في الطب الوقائي لصالح السنباني صـ 252 وما بعدها .

(37) ينظر : مجموع الفتاوى 28 / 62 ، 63 .

(38) نضرة النعيم 10 / 4926 .

(39) الترمذي برقم 2511 وأبو داوود برقم 4902 وابن ماجة برقم 4211 وصححه الألباني في الصحيحه برقم 918 .

(40) البيهقي في السنن الكبرى 10 / 35 وصححه الألباني في الصحيحة برقم 978 وانظر تخريجه فيها .

(41) ينظر : لسان العرب لابن منظور 1 / 360 .

(42) ينظر : السنن الإلهية لزيدان 185 .

(43) تفسير الألوسي 15 / 42 .

44) أبو داود 3 / 274 (3462) وأحمد 2 / 28 (4825) وغيرهما وهو صحيح ، ينظر تخريجه بطرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم (11).

45) البخاري مع الفتح 5 / 4 .

46) أبو داود 3 / 12 (2512) والحاكم 2 / 94 (2434) وغيرهما ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (13) .

47) أبو داود 4 / 111 (4297) وأحمد 5 / 278 (22450) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (958) .

48) أحمد 1 / 402 (3809) والحاكم وصححه 2 / 43 (2261) وأبو يعلى 8 / 396 (4981) ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب 2/ 179 حديث رقم (1860) : حسن لغيره .

49) الترمذي 4 / 526 (2261) وابن حبان 15 / 112 (6716) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (956) .

(50) ينظر : في ظلال القرآن 4 / 2217 .

(51) بتصرف عن الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي 18 / 59 – 60 .

(52) فتح القدير للشوكاني 4 / 228 .

(53) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للإمام ابن القيم صـ 58 طـ 1968 م .

(54) البخاري 3 / 1237 برقم 3199 و 3200 ، ومسلم 4 / 2285 _ 2286 برقم 2980 و2981 .

(55) الجواب الكافي صـ 58 .

(56) ينظر : تغيير المناخ وعودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً للباحث : سلطان زايد ملاطف مبحث الاحتباس الحراري 126وما بعدها .

(57) الترمذي 4 / 495 (2212) ، وأبو داوود 2 / 516 (4307) ، وابن ماجة 2 / 1350 (4062) ، وأحمد في المسند 2 / 163 (6521) و 5 / 259 (22285) ، واللفظ للترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي .

(58) صحيح البخاري مع الفتح 13 / 81 – 82 برقم 7121 .

(59) ينظر : القرطبي 14 / 361 .

(60) البخاري مع الفتح 11 / 362 ومسلم برقم 950 واللفظ له .

(61) ينظر : الجواب الكافي 62 والمعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع صـ 157 – 158 لحامد بن محمد المصلح .

(62) ابن كثير 3 / 587 والدرر المنثور 7 / 36 .

(63) البخاري 4 / 1903 برقم 4690 .

(64) تفسير القرآن العظيم 3 / 147 .

(65) صحيح مسلم 4 / 2145 .

(66) صحيح مسلم 4 / 2146 .

(67) مسند أحمد 1 / 43 (303) .

(68) عبودية الكائنات لرب العالمين لفريد التوني صـ 300 – 301 .

(69) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام ابن القيم صـ 236 .

المصادر والمراجع

القــرآن الكــريــم

- الإعجاز العلمي في الطب الوقائي لصالح بن عبد القوي السنباني، ط/ تجريبية جامعة الإيمان _ صنعاء : 1425 هـ _ 2004 م .
- أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ، بإعداد عبد الجبار زكار ، من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي _ سوريا / دمشق : 1978 م _ دار الكتب العلمية / بيروت _ لبنان ، دون ذكر لرقم الطبعة .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر الجزائري ، ط / 3 راسم للدعاية والإعلان _ جدة : 1410هـ _ 1990 م .
- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة للأستاذ الطاهر أحمد الزاوي ، ط / 2 دار الكتب العلمية _ بيروت / لبنان ، دار المعرفة _ بيروت / لبنان : 1399 هـ _ 1979 م .
- تغيير المناخ وعودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً للباحث : سلطان زايد ملاطف ، رسالة ماجيستير مقدمة في جامعة الإيمان .
- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، بتحقيق الشيخين عبدالوهاب عبداللطيف ومحمد الصديق ، ط / 1 مكتبة النهضة الحديثة ومطبعة الفجالة الجديدة _ القاهرة : 1384 هـ _ 1965 م .
- تنوير الأذهان في تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البُروسُوي اختصار الشيخ محمد علي الصابوني ، ط / 2 دار القلم_ دمشق / بيروت : 1409 هـ _ 1989 م .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن السعدي ، ط / 1 مؤسسة الرسالة _ بيروت / لبنان : 1421 هـ _ 2000 م .
- التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام للدكتور / أكرم ضياء العمري ، ط / 1 مركز الدراسات والإعلام دار اشبيليا _ الرياض : 1417 هـ _ 1997 م .
- التفسير القيم للإمام ابن القيم جمع محمد أويس الندوي ، مكتبة السنة المحمدية ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تأريخها أو البلد الذي طبعت فيه .

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر _ بيروت / لبنان : 1405 هـ _ 1984 م ، دون ذكر لاسم المحقق أو رقم الطبعة .
- الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ط / 2 دون ذكر اسم الدار أو البلد أو تأريخ الطبعة .
- الجامع الصحيح المعروف بـ (سنن الترمذي) للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيس بن سورة الترمذي ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي _ بيروت ، دون ذكر رقم الطبعة أو تأريخها .
- الجامع الصحيح المعروف بـ (صحيح الإمام البخاري) للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري ، بمراجعة د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير - اليمامة _ بيروت : 1407 هـ _ 1987 م ، دون ذكر رقم الطبعة .
- الجامع لشعب الإيمان للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، بتحقيق الدكتور عبدالعلي عبدالحميد حامد والشيخ مختار أحمد الندوي ، ط / 1 الدار السلفية _ بومباي / الهند : 1411 هـ 1991 م .
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المشتهر بابن قيم الجوزية ، بتحقيق محمود عبدالوهاب فايد ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر : 1388 هـ _ 1968 م دون ذكر لرقم الطبعة .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار الفكر _ بيروت : 1398 هـ _ 1978 م ، دون ذكر رقم الطبعة .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، ط / 1 دار الفكر _بيروت : 1403 هـ _ 1983 م .
- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، ط / 3 المكتب الإسلامي _ بيروت / دمشق :1404 هـ _ 1984 م .
- سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية _ صيدا / بيروت ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تأريخها .
- سنن ابن ماجة للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة العلمية _ بيروت ، دون ذكر رقم الطبعة أو تأريخها .
- السلسلة الصحيحة للعلامة المحدث أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين ا لألباني ، ط / 3 المكتب الإسلامي _ بيروت / دمشق : 1403 هـ _ 1983 م .
- السلسلة الضعيفة للعلامة المحدث أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين ا لألباني ، ط / 3 المكتبة الإسلامية _ عمان / الأردن ، مكتبة المعارف _ الرياض : 1406 هـ _ 1986 م .

- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية للدكتور عبدالكريم زيدان ، ط / 3 مؤسسة الرسالة _ بيروت / لبنان : 1414 هـ _ 1994 م.
- السنن الكبرى للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، طبعة دار المعرفة ببيروت / لبنان ، وهي : ط / 1 مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية _ حيدر آباد / الهند : 1344 هـ ، ولم يذكر المحقق .
- صحيح الإمام مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي _ بيروت / لبنان ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تأريخها .
- صحيح الترغيب والترهيب للعلامة المحدث أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني ، ط / 5 مكتبة المعارف _ الرياض .
- عبودية الكائنات لرب العالمين لفريد إسماعيل التوني ، ط / 1 مكتبة الضياء _ جدة : 1413 هـ _ 1992 م .
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم ، بتصحيح زكريا علي يوسف ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت / لبنان ، دون ذكر لتأريخ الطبعة أو رقمها .
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ، بتحقيق الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخين محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبدالباقي ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ، دون ذكر لاسم الدار أو رقم الطبعة أو تأريخها .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار المعرفة _ بيروت ، دون ذكر اسم المحقق أو رقم الطبعة أو تأريخها .
- في ظلال القرآن لسيد قطب ، ط/ 7 دار المعرفة ودار إحياء التراث _ بيروت :1391 هـ _ 1971 م .
- كتاب الإيمان للشيخ الزنداني وآخرين ، ط / 1 _ 1982 م ، دون ذكر بلد الطبع أو اسم الدار.
- لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر _ بيروت ، دون ذكر اسم المحقق أو رقم الطبعة أو تأريخها .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي وابنه محمد ، نسخة مصورة من الطبعة الأولى _ 1398 هـ ، دون ذكر اسم الدار أو اسم البلد أو تأريخ الطبعة الأولى .
- مختصر تفسير ابن كثير لمحمد علي الصابوني ، ط / 2 دار القرآن الكريم _ دمشق / بيروت : 1396 هـ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام الحافظ أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، ط / 2 المكتب الإسلامي _ بيروت / دمشق : 1398 هـ _ 1978 م .
- مع الأنبياء في القرآن الكريم لعفيف عبدالفتاح طبارة ، ط/ 10 دار العلم للملايين _ بيروت : 1981 م .

- المجتبى في معرفة السنن المعروف بـ (سنن النسائي) للإمام الحافظ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي ، دار إحياء التراث العربي _ بيروت / لبنان ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تأريخها .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي للعلامة أحمد بن محمد بن علي المُقري الفيومي ، طبعة المكتبة العلمية/ بيروت _ لبنان ، دون ذكر للمحقق أو رقم الطبعة أو تأريخها .
- المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع لحامد بن محمد المصلح ، ط / 1 مكتبة الضياء / جدة _ 1992 م .
- المعجم الوسيط لمجموعة من المصنفين ، ط / 2 مجمع اللغة العربية _ القاهرة : 1392 هـ _ 1972 م .
- الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي، ط/ 1 مؤسسة الأعلمي- بيروت : 1411 هـ - 1991م .
- نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم ﷺ إعداد مجموعة من المختصين بإشراف د . صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن ملُّوح ، ط / 1 دار الوسيلة للنشر والتوزيع _ جدة : 1418 هـ _ 1998 م .

❁ بالإضافة لما سبق فقد تمت الاستعانة بالموسوعة الذهبية للحديث الشريف ، الإصدار الأول _ مركز التراث للبرمجيات : 1417 هـ - 1997 م .